كيف نحبب الكتاب إلى الأطفال ؟

[مقدمة الجزء الأول من كتاب حكايات الأطفال بمناسبة الطبعة الأخيرة منه .]

للأستاذ كامل كيلانى

من المشاهد المألوف أن الطفل إذا قص عليك خبراً ، لجأ إلى تكرار الجمل كأنما يتثبت من معانيها فى ألفاظها المكررة ، فلنكتب له — وهو فى هذه السن — محاكين أسلوبه الطبيعى فى تكرار الجمل والألفاظ ، لنثبت المعانى فى ذهنه تثبيتاً ، ولنكرر له الجمل برشاقة ، لنسهل عليه قراءتها ، فإن لكل مقام مقالا .

ومن المقرر أن الطفل — فى هذه المرحلة — ملول يتهيب الكتاب ، فلننزع من نفسه هذا الملل ، ولنحبب إليه الكتاب بكل وسيلة ، فنبسط له الأسلوب تبسيطاً ، ونكثر له من الصور الجذابة الشائقة التى تسترعى انتباهه ، لنشعره أن الكتاب تحفة تُهدى إليه إهداء ، وليس واجباً يكلَّف به تكليفاً ، فإن الطفل — إذا ساء ظنه بالكتاب — صعب اجتذابه إليه بعد ذلك .

وقد وفق أكثر من تصدوا لتأليف كتب الأطفال توفيقاً عجيباً فى تبغيض القراءة إلى نفوسهم ، وتنفيرهم من المطالعة ، فأصبحوا يمقتون الكتاب أشد المقت ، ويهربون من قراءته ، لأن المؤلفين لم يراعوا سن الطفل وميوله ورغباته ، ولم ينزلوا — أو هم على الحقيقة — لم يستطيعوا النزول إلى مستواه ومخاطبته باللغة التى يفهمها وترتاح إليها نفسه ، ومن الإنصاف أن نقرر — بصراحة — أنهم لم يضعوا كتبهم على نسق خاص أو منهج بعينه ، وأنهم فى تأليفهم لم يتشبعوا بفكرة فنية تنتظم الكتاب وتؤلف بين أجزائه ؛ لأنهم يقنعون بتصيد موضوعات الكتاب — كيفما اتفق لهم أن يتصيدوها — فيخرج الكتاب خليطاً مضطربا لا تؤلف بين أجزائه فكرة بعينها ، ولا يتناسب أسلوبه مع مدارك الأطفال .

إن الطفل ميال — بطبعه — إلى الحكايات والقصص ، وهو بفطرته مفتون برؤية الصور الجذابة . فلنختر له منها ما يناسب سنه ، ويتفق مع ميوله ورغباته وتفكيره ، وقد حفزنا هذا الاعتبار إلى تأليف « قصص للأطفال » بالأمس ، كما حفزنا اليوم إلى تأليف « حكايات للأطفال » . وقد كتبنا الأولى لكبار الأطفال ، والثانية لصغارهم . ولقيت قصص الأطفال — من الإقبال والعناية — ما شجعنى على تأليف هذه الحكايات .

* * *

أما الفكرة التى انتظمت هذه السلسلة « حكايات الأطفال » فهى « التكرار » ، يكثر فى أولها ثم يقل — كلما تقدم الطفل فى القراءة — بالتدريج ، حتى يصل إلى قراءة الأسلوب الموجز الذى لا تكرار فيه بلا مشقة أو إعنات .

وقد تدرجنا بالطفل فى هذه السلسلة حتى يكون آخر جزء منها ممهداً لقراءة أول جزء من أجزاء السلسلة الأخرى « قصص الأطفال » ، وإنما عمدنا إلى التكرار عمداً ، بعد أن أقنعتنا التجارب العملية ، أنه أصلح أسلوب يلائم الطفل الناشىء ، ويشجعه على القراءة .

وذلك أن الطفل الناشىء لا يقرأ الكلمة إلا بجهد كبير ، ولا يتم قراءة السطر إلا بشق النفس ، فلنقتصد جهدنا فى استعمال الألفاظ الجديدة ، ولنؤلف له من الألفاظ القليلة التى يقرؤها الكبير فى بضعة أسطر عدة صفحات كاملة لندخل فى روعه أن القراءة ليست صعبة كما يتوهم ، وليست شاقة مضنية ، كما ألفها فى الكتب الأخرى ، بل هى سهلة ميسورة ، وهى — إلى سهولتها ويسرها — ممتعة شائقة . تملأ نفسه بهجة وانشراحا ، ونعمة يشعر الطفل بثقة فى نفسه إذ يرى أنه يقرأ صفحة كاملة بجهد يسير ، فهو لن يتم قراءة السطر الأول حتى يسهل عليه قراءة السطر الثانى والثالث والرابع وهكذا ، لأن الألفاظ لا تكاد تتغير فى الجمل إلا بمقدار يسير .

* * *

هذا هو النهج الذى أخذنا به أنفسنا فى تأليف هذا الجزء وما يليه من الأجزاء . فإن وفقنا فى هذه الخطوة — ونرجو أن يكون ذلك — فقد أدينا بعض ما يجب علينا أداؤه لهذا الجيل الناشىء الذى نعلق عليه أكبر الآمال .

كامل كيلانى